شمائل البخاري



تصنيف

أبي جعفر محمد بن أبي حاتم

البخاري النحوي الوراق

جمع وتعليق

أبي معاوية

مازن بن عبد الرحمن البُحْصَلي البيروتي

الطبعة الأولى
رمضان ١٤٤٠هـ

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

«الحمد لله الذي عَمَّر كلَّ حينٍ وزمان بعلماء وحُفّاظ، وأولياء وزهّاد، وجعل كونهم في حياتهم سبب نجاة الخلق والأمان، وجعل ذكرهم بعد مماتهم سبب الرحمة والغفران.

فقد ورد في الأثر: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»، ورُوي عن أحمد بن مهران قال: كنتُ أماشي أبا مسعودٍ الرازي في سوق أصبهان، فتذاكرنا فضائل سفيان الثوري، فقال أبو مسعود: «أرجو أن الله يغفر لنا بذكر فضائل سفيان». وأنا أقول: ونحن نرجو أن يغفر الله لنا بذكر من ذكرناهم في هذا الكتاب من السادة الأخيار والعُبّاد الأبرار»(*).

(*) من مقدمة «سير السلف الصالحين» لقوّام السنّة.

وقال المروزي (ت ٢٧٥هـ) في كتاب «الورع» (ص ٨٠/ط. المعارف): ذكرتُ **لأبي عبد الله** (أي: أحمد بن حنبل) الفضلَ وعريه، وفتح الموصلي وعريه وصبره، فتغرغرت عيناه وقال: رحمهم الله، كان يُقال: «**عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة**».

وبعد، فقد صنّف خادم الإمام البخاري ووراقه **أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري النحوي** جزءاً ضخماً في ترجمة أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا من برّه الجميل بشيخه رحمهما الله. وسمّى الجزء «شمائل البخاري» كما ذكر **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ) في «سير أعلام النبلاء» (٣٩٢/١٢) و(٤٢٤/١٦)، وقال **السخاوي** (ت ٩٠٢هـ) في «الجواهر والدرر» (١٢٦٠/٣): «ولورَّاقه أبي جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري «شمائله» في نحو كرّاسين، رواه أبو محمد أحمد بن عبد اللَّه بن محمد بن يوسف الفرَبْري عن جدِّه، عن مصنفه». اهـ. والكرّاس قَدَّره المحقق عبد السلام هارون بعشر ورقات.

وسمّاه البعض «مناقب البخاري»، منهم **السمعاني** (ت٥٦٢هـ)، فقال في ترجمة شيخه أبي بكر البسطامي (ت٥٣٧هـ) في «معجم شيوخه» (المنتخب/ ص ١٣٦٩): «كتبت عنه بنيسابور... وكتاب «مناقب محمد بن

إسماعيل البخاري» من جمع محمد بن أبي حاتم البخاري، بروايته عن ابن خلف الشيرازي، عن أبي طاهر ابن مهرويه، عن أبي محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري، عن جده، عنه».

وكذلك سمّاه **ابن حجر** (ت ٨٥٢هـ) في «هُدى الساري» (٢/٣٥٧/ ط. الرسالة).

واشتهرت رواية الجزء من طريق أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، عن أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن مهرويه الفارسي المؤدب، عن أبي محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر الفربري، عن جدِّه، عن وراق البخاري، وستأتي ترجمتهم، لكن وردت روايات أخرى عن محمد بن يوسف الفربري عن الوراق، منها:

- رواية **محمد بن حام بن ناقب البخاري، أبي بكر الصفار** (ت ٣٨١هـ)، أحدُ من حدَّث بـ«صحيح البخاري» عن أبي عبد الله الفربري، وحدّث عن الفربري بـ«شمائل البخاري» للوراق في سمرقند. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦/٤٢٤). وسمرقند تقع الآن في أوزبكستان.

- رواية **أبي نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر** التي روى الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما من طريقها بعض النقولات، ولم أجد له ترجمة، وقد روى عن

الفربري، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن حمدويه ابن الحكم بن ورق بن خذينك الشماخي (ت ٣١٩هـ)، وأبي عمرو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد ابن أبي هاشم صالح بن رفيد (٢٥٣ ـ ٣٢٥هـ).

وأضاف الوراق على كتابه «شمائل البخاري» عدة زيادات بعد روايته له، قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤١٦/١٢): «قال محمد بن يوسف الفربري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول في **الزيادات المذيلة** على «شمائل أبي عبد الله» ـ قلت (أي الذهبي): وليست هي داخلة في رواية ابن خلف الشيرازي ـ. . .». اهـ.

وقد أورد الحافظ الذهبي نقولات كثيرة من كتاب «شمائل البخاري» في ترجمة البخاري من كتابه «سير أعلام النبلاء» (٣٩١/١٢ ـ ٤٧١)، ولعله استوعب في الترجمة أكثر الكتاب، إلّا بعض النقولات التي وردت في مصادر أخرى غير كتب الذهبي، فاستخرتُ الله عز وجل في جمع هذه النصوص من «سير أعلام النبلاء» وغيره لتقريب هذا الجزء القيّم بين أيدي طلبة العلم، وأنبّه أن الحافظ الذهبي يلخِّص كتب التاريخ والتراجم عندما يدخلها في مصنفاته، فقد يحذف ويُقَدِّم ويؤخّر من الكتاب، فيتجمّع لدينا جزء كبير من أصل «شمائل الذهبي» للوراق لكن قد لا يكون كما رتَّبه

مؤلفه، لكن هذا لا ينقص من قيمة الجمع، ويتلخَّص عملي في الكتاب بالتالي:

ـ قمت بجمع روايات ورّاق البخاري في ترجمة البخاري في «سير أعلام النبلاء» (٣٩١/١٢ ـ ٤٧١)، وتشكيل ما قد يُحتاج إليه من الكلام، وأفردتُ بآخر الكتاب فصلاً بروايات الوراق التي لم يذكرها الذهبي في «السير».

ـ قارنت بين الروايات في «السير» التي وردت في مصادر أخرى لأصلح تحريفاً أو أكمل نقصاً، ونبّهتُ عليها في الحواشي.

ـ أضفتُ توضيحات لبعض ما قد يبهم، وتعليقات وفوائد تخدم النصوص إن شاء الله.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه من ثغر بيروت
أبو معاوية
مازن بن عبد الرحمن البُحصلي البيروتي
في الثامن عشر من شهر شعبان
الذي تُرفَع فيه الأعمال إلى الله الكريم
بعد الهجرة النبوية
بأربعين وأربع مئة وألف سنة

ترجمةُ الورّاق أبي جعفر
محمد بن أبي حاتم البخاري النحوي

قال الحافظ **ابن حجر** في «فتح الباري» (١٢٢/١٥/ ط. الرسالة): «... وأبو جعفر كان يورِّق للبخاري ـ أي ينسخ له ـ، وكان من الملازمين له والعارفين به والمكثرين عنه، وقد ذكر الفربري عنه في الحج والمظالم والاعتصام وغيرها فوائد عن البخاري». اهـ. (انظر كمثال على الفوائد «صحيح البخاري» (٦٤٩٧)).

لم أقف على أيِّ ترجمةٍ لورّاق البخاري في ما بين يدي من كتب التاريخ والتراجم، ولا حتى تاريخ مولده أو وفاته، ولعل له ترجمة في «تاريخ بُخارى» المفقود للحافظ محمد بن أحمد غُنجار (٣٣٧ ـ ٤١٢هـ)؛ والذي ترجم فيه لرجال الحديث من أهل بُخارى والواردين عليها على نسق

«تاريخ بغداد» و«تاريخ دمشق» وغيرهما، وسأكتب له ترجمة استنبطتها من نصوص جزئه «شمائل البخاري» التي جمعتها:

مولد الوراق: بما أن أقدم شيخ روى عنه في «جزئه» هو يحيى بن جعفر البيكندي (ت ٢٤٣هـ)، وكانت بداية ملازمته للبخاري أثناء تصنيفه «الجامع الصحيح» (٢١٧ ـ ٢٣٣هـ)، فأرجّح أنه ولد قبل العشرين ومئتين.

بلد الوراق: سأل أبو سعيد الأشج (ت ٢٥٧هـ) الوراق: من أي خراسان أنت؟ فقال: من بُخارى .(قال البيروتي: والآن بُخارى عاصمة ولاية بخارى، وتُعَد خامس مدن أوزبكستان سكاناً).

وصفه لطقس بلده: قال الوراق: خرجَ إلينا أبو سعيد الأشج في غَداةٍ باردة، وهو يرتعدُ من البرد، فقال: أيكونُ عندكم مثلُ ذا البَرْد؟ فقلتُ: مثل ذا يكون في الخريف والربيع، وربما نُمسي والنهرُ جارٍ، فنصبحُ ونحتاجُ إلى الفأس في نَقْبِ الجَمَد.

فقال لي: من أيّ خُراسان أنتَ؟

قلت: من بُخارى.

والد الوراق: يظهر أن والد الوراق كان من طلاب العلم أو محبًّا للعلم؛ كما نستنبطه من قول الوراق: «سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يقول: كان محمد بن إسماعيل يختلف إلى أبي حفص أحمد بن حفص البخاري (١٥٠ ـ ٢١٧هـ) وهو صغير». اهـ.

ويفيدنا النصُّ أن والد الوراق كان أيضاً يختلف إلى الفقيه أحمد بن حفص، ويرى البخاري مراراً هناك، وشجَّعَ الوالد ابنه الوراق على طلب العلم.

فائدة: بفضل الله وقفتُ على نقلٍ عن **والد البخاري** إسماعيل بن إبراهيم البخاري لم أرَ مَن ذكره عنه، ففي ترجمة أبي حفص في «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٥٧): «قال الشيخ محمد بن أبي رجاء البخاري: سمعتُ أحمد بن حفص يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم عليه قميصٌ، وامرأة إلى جَنْبه تبكي، فقال لها: لا تبكي، فإذا مِتُّ فابكي.

فلم أجد من يعبرها لي حتى قال لي إسماعيل والد البخاري: إن السُّنّة قائمة بعدُ». اهـ.

وهذا يفيدنا أن إسماعيل والد البخاري كان صديقاً للفقيه أحمد بن حفص، ولهذا كان البخاري يختلف إليه وهو صغير، ولعل والده كان يصطحبه معه تشجيعاً له على طلب العلم، وقد توفي إسماعيل وابنه محمد صغير، ويظهر أن والد البخاري كان عنده علم بتعبير الرؤى حيث لم يجد الفقيه أحمد بن حفص مَن يعبر له رؤياه سواه.

شيوخ الوراق: صرّح الوراق في جزئه «شمائل البخاري» بسماعه من كثير من أهل العلم الذين نقل عنهم ما يتعلق بسيرة البخاري، ومن أقدم شيوخه الذين ذكر سماعه منهم: يحيى بن جعفر البيكندي (ت **٢٤٣**هـ)، وعلي بن حُجْر (ت **٢٤٤**هـ)، وصالح بن مسمار السلمي المروزي (ت **٢٤٦**هـ)، وإبراهيم بن خالد المروزي (ت **٢٥٠**هـ).

بداية ملازمته للبخاري: استنبط د. فؤاد سزكين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تاريخ التراث العربي» (**١/١/٢٢٥ ـ ٢٢٦**) من بعض النقولات أن الإمام البخاري (**١٩٤ ـ ٢٥٦**هـ) انتهى من تأليف «صحيحه» قبل وفاته بقرابة ثلاث وعشرين عاماً؛ وذكر البخاري أن تأليفه استغرقه ستة عشر عاماً، فعندها بدأ بتأليفه عام **٢١٧**هـ وانتهى منه عام **٢٣٣**هـ على وجه التقريب، وفي هذه الفترة (**٢١٧ ـ ٢٣٣**هـ) أثناء تصنيف البخاري لكتابه «الجامع الصحيح» لازمه الوراق، فقد قال في «جزئه»: «... وأقبلنا على الكتابة، وكنا في تصنيف «الجامع»...»، وقال بعدها: «ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف «الجامع»، وكتبنا منه ذلك اليوم شيئاً كثيراً إلى الظهر».

ولعل بداية ملازمته للبخاري عندما صار الوراق ولداً مميزاً، أو في بداية شبابه، إذ شكا الوراق للبخاري عدم

إيقاظه لقيام الليل، فقال: «لَـم توقظني. فقال البخاري: أنتَ شابٌّ، ولا أُحِبُّ أن أُفْسِدَ عليك نومك».

طول صحبته للبخاري: ذكر الوراق أن صحبته للإمام البخاري كانت طويلة، فقال: «فما أعلمني رأيته في طولِ ما صحِبْتُه...»، فأقدّر صحبته له من عشرين إلى ثلاثين سنة.

خدمته للبخاري: لم تكن صحبة الوراق للبخاري مقتصرة على النسخ والكتابة، بل كان يقضي له حوائجه ويخدمه، ويشاركه في الرمي، واختصَّه البخاريُّ بمنزلة مميزة عنده، يظهر هذا من قول الوراق للبخاري: «أنْزَلْتَني من نفسك ما لم تُنْزِل أحداً، وحللتُ منك محلَّ الولد»، وقال له: «إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة، فأي رجل يبرّ خادمه بمثل ما تبرّني».

وهاك أمثلة على خدمته له:

ـ «دخل أبو عبد الله بفَرَبر الحمّام، وكنتُ أنا في مَشْلَح الحمام، أتعاهدُ عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه، فلبسها، ثم ناولته الخُفَّ».

ـ «أوردتُ على علي بن حُجر كتاب أبي عبد الله، فلما قرأه قال: كيف خلَّفت ذلك الكبش؟»

قال أبو معاوية البيروتي: علي بن حُجر (ت ٢٤٤هـ) كان يسكن في مرو ـ وتقع الآن في تركمانستان ـ، فالوراق سافر إليه ليوصل له رسالة من البخاري.

ـ «ناوَلَني عشرين درهماً، فقال: ينبغي أن تصرف هذه في شراء الخضر ونحو ذلك».

رفق البخاري بوراقه: قال أبو جعفر الوراق: «وكان أبو عبد الله يُصَلِّي في وقت السَّحَر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يُوقظني في كلِّ ما يقوم.

فقلتُ: أراكَ تحمِلُ على نفسك، ولَم توقظني.

قال: **أنتَ شابٌّ، ولا أُحِبُّ أن أُفْسِدَ عليك نومك**».

وعندما اشترى الوراقُ منزلاً أعانه البخاري في ثمنه، قال الوراق: «كنتُ اشتريت منزلاً بتسع مئة وعشرين درهماً، فقال: لي إليك حاجة تقضيها؟ قلت: نعم، ونعمى عين، قال: ينبغي أن تصير إلى نوح بن أبي شداد الصيرفي، وتأخذ منه ألف درهم، وتحمله إليّ. ففعلتُ، فقال لي: **خذه إليك، فاصرفه في ثمن المنزل**».

وكان البخاري يُذَكِّر ورّاقه بقيمة عمله في نسخه للعلم إذا أحس أنه أثقل عليه في النسخ، قال الوراق: «**وأملَى يوماً عليَّ حديثاً كثيراً، فخافَ مَلالي، فقال: طِبْ نفساً، فإنّ أهلَ الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنتَ مع النبي ﷺ وأصحابه**».

وقال له الوراق: عُرِضَت لي حاجة لا أجترئ رفعها إليك، فظنَّ أني طمعت في الزيادة، فقال: «**لا تحتشمني،**

وأخبرني بما تحتاج، فإني أخاف أن أكون مأخوذاً بسببك»، قلت له: كيف؟ قال: «**لأن النبي ﷺ آخى بين أصحابه**». فذكر حديث سعد وعبد الرحمن (رواه البخاري ٢٠٤٨). فقلت له: قد جعلتك في حِلٍّ من جميع ما تقول. اهـ.

❁ ❁ ❁

شمائل البخاري

أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري

تصنيف

أبي جعفر محمد بن أبي حاتم

البخاري النحوي الوراق

قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣٩٢/١٢) عن كتاب «شمائل البخاري»:

أنبأني به أحمد بن أبي الخير[(١)]، عن محمد بن إسماعيل الطرسوسي[(٢)]، أن محمد بن طاهر الحافظ[(٣)] أجاز له، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف[(٤)]، أخبرنا أبو

(١) أَحْمَد بن أبي الخير سلامة، أبو العَبَّاس الدّمشقيّ الحدّاد الحنبليّ المُقْرِئ (٥٨٩ ـ ٦٧٨هـ)، ترجم له الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٥٧/١٥/ ط. الغرب).

(٢) محمد بن إسماعيل، أبو جعفر الطرسوسي، ثم الأصبهاني، الحنبلي (٥٠٢ ـ ٥٩٥هـ)، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٤٥/٢١).

(٣) محمد بن طاهر، الإمام الحافظ أبو الفضل المقدسي (٤٠٨ ـ ٥٠٧هـ)، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣٦١/١٩).

(٤) أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف الشيرازي الأديب، =

طاهر أحمد بن عبد الله بن مهرويه الفارسي المؤدب(٥)، قدم علينا من مرو لزيارة أبي عبد الله السلمي، أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر الفربري(٦)، حدثنا جدي(٧)، قال: سمعت محمد بن أبي حاتم،... فذكر الكتاب. فما أنقله عنه، فبهذا السند.

وُلِد أبو عبد الله البخاري في شوال سنة أربع وتسعين ومئة.

= مسند وقته (٣٩٨ ـ ٤٨٧هـ)، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٧٨/١٨).

(٥) أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن مهرويه الفارسي المؤدب، لم أجد له ترجمة!

(٦) أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن مطر الفربري (ت ٣٧١هـ)، ترجم له السمعاني في الأنساب (مادة: الفربري)، وقال: يروي عن جده كتاب «الجامع الصحيح»، روى عنه غنجار، وتوفي في سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

(٧) محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بِشْر، أبو عبد الله الفرَبْرِيّ (٢٣١ ـ ٣٢٠هـ)، المحدِّث الثقة العالم، راوي «الجامع الصحيح» عن أبي عبد الله البخاري، سمعه منه بفربر مرتين. والفَرَبْرِيّ: بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وبعدها راء أخرى. نسبةً إلى قرية فَرَبْر من قرى بُخَارَى، هكذا ذكرها السمعاني في «الأنساب» وقال: وهي (بلدة) على طرف جيحون مما يلي بُخارى، أقمتُ بها أياماً في انصرافي من وراء النهر. اهـ.
وفربر هي الآن مدينة وعاصمة مقاطعة فربر في ولاية ليباب من تركمانستان.

قاله أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، ورّاق أبي عبد الله في كتاب «شمائل البخاري»، جمعه، وهو جزء ضخم.

وبالسند الماضي إلى محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: أُلْهِمْتُ حِفْظَ الحديث وأنا في الكُتَّاب.

فقلت: كم كان سنّك؟ فقال: عشر سنين، أو أقل.

ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر، فجعلتُ أختلف إلى الداخلي(٨) وغيره.

---

(٨) قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣٨٧/٥): «الداخلي الْمَذْكُور لم أَقف عَلَى اسْمه وَلم يذكر ابْن السَّمْعَانِيّ وَلاَ الرشاطي هَذِه النِّسْبَة، وأظن أنها نِسْبَة إلى المَدِينَة الدَّاخِلَة بنيسابور». اهـ.

قال الشيخ عبد الرحمن الفقيه: «الذي يظهر من خلال بعض النقول أن المقصود به أحمد بن حفص». ونقل من «تاريخ دمشق» (٨٧/٥٢) النص التالي: «أنبأنا محمد بن أحمد، حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ وأبو نصر أحمد بن أبي حامد الباهلي، قال: سمعنا أبا سعيد بكر بن منير يقول: سمعت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي يقول: كنتُ عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب «الجامع» ـ جامع سفيان ـ من كتاب والدي، فمرَّ أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته، فقال الثانية كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، =

فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم.

فقلت له: إن أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم.

فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل [إنْ كان عندك][(٩)].

فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم. فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، وقال: صدقت.

فقيل للبخاري: ابن كم كنتَ حين رددتَ عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة.

فلما طعنتُ في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كُتُب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء[(١٠)]، ثم

= فراجعته الثالثة، سكت سويعة، ثم قال: مَن هذا؟ فقالوا: هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة. فقال أبو حفص: هو كما قال، واحفظوا فإن هذا يصير يوماً رجلاً». اهـ.

(٩) ما بين معقوفتين زيادة من «تغليق التعليق» (٣٨٦/٥).

(١٠) قال ابن حجر في «هُدى الساري» (٥٢٨/٢/ ط. الرسالة): يعني أصحاب الرأي.

ثم قال ابن حجر عن خروجه مع أمه وأخيه إلى الحج: فكان أولُ رحلته على هذا سنة عشرٍ ومئتين.

خرجتُ مع أمي وأخي أحمد إلى مكّة، فلما حججتُ رجع أخي بها، وتخَلَّفْتُ في طلب الحديث.

قال: وسمعته قبل موته بشهر يقول: كتبتُ عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: «الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص».

قال محمد بن أبي حاتم البخاري: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: حججتُ، ورجع أخي بأمي، وتخَلَّفْتُ في طلب الحديث.

فلما طعنتُ في ثمان عشرة، جعلت أُصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى(١١).

وصنّفتُ كتابَ «التاريخ» إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المُقْمرة.

وقَلَّ اسمٌ في «التاريخ» إلاّ وله قصة، إلا أنّي كرهتُ تطويل الكتاب.

وكنتُ أختلف إلى الفقهاء بمَرو وأنا صبي، فإذا جئت

(١١) عُبَيْد الله بن موسى بن أبي المختار باذام، أبو محمد العبْسيّ، مولاهم الكُوفيُّ (ت ٢١٣هـ).

أستحيي أن أُسَلِّم عليهم، فقال لي مؤدّبٌ من أهلها: كم كتبتَ اليوم؟ فقلت: اثنين[١٢]، وأردتُ بذلك حديثين، فضحك مَن حضر المجلس.

فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوماً!!

وسمعته يقول: دخلت على الحُمَيْديّ وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي الحُمَيْديُّ قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضا عليّ، فقضيتُ للحميدي على مَن يخالفه، ولو أنّ مخالفه أصر على خلافه، ثم مات على دعواه، لمات كافراً.

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم، قلت لأبي عبد الله: تحفظ جميع ما أدخلت في «المصنَّف»؟ فقال: لا يخفى عليَّ جميع ما فيه.

وسمعته يقول: صنّفتُ جميع كُتُبي ثلاث مرات.

وسمعته يقول: لو نُشِرَ بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنّفتُ «التاريخ»، ولا عرفوه، ثم قال: صنَّفتُه ثلاث مرات.

---

(١٢) في «تغليق التعليق» (٣٨٧/٥): «آيتين».

وسمعته يقول: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب «التاريخ» الذي صنّفتُ، فأدخَلَه على عبد الله بن طاهر[١٣]، فقال: أيها الأمير، ألا أُريكَ سحراً؟ قال: فنظر فيه عبد الله، فتعجَّبَ منه، وقال: لستُ أفهم تصنيفَه.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: دخلتُ بغداد آخر ثمان مرات، في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودَّعتُه: يا أبا عبد الله، تَدَعُ العلمَ والناس، وتصير إلى خراسان؟! قال: فأنا الآن أذْكُر قوله.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبد الله، إذا كنتُ معه في سفر، يجمعنا بيتٌ واحدٌ إلاّ في القيظ أحياناً، فكنتُ أراه يقومُ في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كلّ ذلك يأخذ القداحة، فيوري ناراً، ويُسْرِج، ثم يخرج أحاديث، فيُعَلِّم عليها [ثم يضع رأسه][١٤].

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت هانئ بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف ـ يعني: الفريابي ـ بالشام،

---

(١٣) عبد اللَّه بن طاهر بن الحُسَيْن بن مُصْعَب، (١٨٢ ـ ٢٣٠هـ) أمير إقليم خُراسان وما يليه.

(١٤) ما بين معقوفتين زيادة وردت في «تاريخ بغداد» (١٣/٢) من طريق محمد بن حام عن الفربري عن ورّاق البخاري.

وكنا نتنزَّه فِعْلَ الشباب في أكل الفِرْصاد(١٥) ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه، ويُكِبُّ على العلم.

وقال محمد: سمعت النجم بن الفضيل(١٦) يقول:

---

(١٥) الفِرْصاد: عجم الزبيب والعنب. والفرصاد: التوت، وقيل حمله، وهو الأحمر منه. حاشية «السير» (١٢/٤٠٥).

(١٦) لم أقف على ترجمة للنجم بن الفضيل، لكن نقل الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/١٠) عن الفربري قال: كان من أهل الفهم.

رؤيا مشابهة: قال الحافظ ابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ) في «ذيله على طبقات ابن رجب الحنبلي» ـ في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان (أبو شَعَرٍ) (٧٨٠ ـ ٨٤٥هـ)، وهو من آل قدامة، ومن كبار علماء المذهب، وكان لا يحلق رأسه فلُقِّب بأبي شعر -: «أخبرني بعض أصحابنا أن رجلاً كان مجاوراً بمكة وقد كان عزم على النزول لبَلده، قال: فبينما هو نائم إذ رأى النبي ﷺ ووراءه رجلٌ، كلّما رفع النبي ﷺ قدَمَه، وضع قدمه، ثم أن النبي ﷺ جاء إليّ عند البيت وأسند ظهره إلى البيت، وطلع ذلك الرجل على كرسي وشرع في تفسير سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ [قُرَيش: ١]. قال: ثم إن الرجل بَيْنا هو يريد الخروج، وإذا الرجل الذي رآه مع النبي ﷺ، فعرفه فتبعه،... قال: فلمَّا نزل قام إليه وقال: أترضاني خادِماً؟ وقصَّ عليه الرؤيا. فقال: يا شيخ الرُّؤيا الصالحة تسرُّ ولا تضرُّ. وصَحبه ذلك الرجل وقدم معه الشام». اهـ.

وجاء في الشريط (٥٠٠) من (سلسلة الهدى والنور) أن فتاةً جزائرية اتصلت بالعلاّمة المُحَدِّث الألباني (١٣٣٣ ـ ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاتفيًّا، وقالت: «يا شيخ! إحدى الأخوات رأت في المنام=

رأيت النبي ﷺ في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه، فكلما رَفَعَ النبي ﷺ قدمه، وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ قدمه.

وقال سمعت أبا عبد الله يقول: كان شيخٌ يمرُّ بنا في مجلس الداخلي، فأُخْبِرُهُ بالأحاديث الصحيحة مما يُعرِضُ

= رؤيا، رأت نفسها على شرفة، شرفة تطل على الطريق، فرأت على ذلك الطريق، رأت الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصفاته، ثم رأتني يعني واقفة أمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، رأت الرسول ﷺ يتبسم لي وأنا أتبسم إليه، ثم ناديتها وقلت لها: انزلي، انزلي معنا. فلما نزَلَت سألتني: إلى ما تنظرين؟ فقلت: انظري إلى الذي أنظر إليه، فرأت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تبسّم صلى الله عليه وآله وسلم ومضى في تلك الطريق، ثم مشينا معاً في تلك الطريق... ثم لمّا كنّا نمشي رأينا شيخاً على تلك الطريق فسلّمنا عليه. قلنا: السلام عليكم. ثم ردَّ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال لنا هذا الشيخ: رأيتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلنا: نعم رأيناه. فمضينا معاً في تلك الطريق.

فالمهم فالأخت هذه سألتني في المنام، قالت لي: من هذا الشيخ؟ فقلت لها ـ أسأل الله عز وجل أن يجعلها الله بشرى لك يا شيخ ـ فقلت لها: هذا الشيخ الألباني، هذا الشيخ الألباني. وأنا إن شاء الله تعالى قلت يعني أبشِّر الشيخ، فلعلها بشرى إن شاء الله أنه على طريق السنة إن شاء الله تعالى». فلم يتحمّل الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامَها، وأجهش بالبكاء.

عليَّ، وأُخبِرُه بقولهم، فإذا هو يقول لي يوماً: يا أبا عبد الله، رئيسُنا في أبو جاد(١٧).

وقال: بلغني أن أبا عبد الله شرب دواء الحفظ يقال له: بَلاذُر، فقلتُ له يوماً خلوة: هل من دواء يشربه الرجل، فينتفع به للحِفْظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل عليَّ، وقال: لا أعلم شيئاً أنفعَ للحفظ من نَهْمَةِ الرجل، ومُداومة النظر.

قال: وذاك أني كنتُ بنيسابور مقيماً، فكان تَرِدُ إليَّ من بُخارى كُتُب، وكُنّ قَراباتٌ لي يُقرئن سلامهنَّ في الكتب، فكنتُ أكتب كتاباً إلى بخارى، وأردتُ أنْ أُقْرِئَهنَّ سلامي، فذهبَ عليَّ أساميهن حين كَتَبتُ كتابي، ولم أُقْرئهنَّ سلامي، وما أقلَّ ما يذهب عنّي من العلم(١٨).

---

(١٧) أبو جاد: يقصد رئيسه ما زال في أول طلب العلم بالمقارنة مع علم البخاري.

(١٨) علّق الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٤٨/٦/ ط. الغرب): يعني البخاري: ما أقلّ ما يذهب عَنْهُ مِنَ العلم لمداومة النَّظر والاشتغال، وهذه قراباته قد نسي أسماءهنّ. وغالب النّاس بخلَاف ذَلِكَ؛ فتراهم يحفظون أسماء أقاربهم ومعارفهم ولا يحفظون إلا اليسير مِن العلم. اهـ.

والبَلاَذُر (نبات) anacardium, marsh nut، قال إسحاق بن عمران: هو ثمرة شجرة تشبه قلوب الطير ولونه أحمر إلى السواد على لون القلب وفي داخله شيء شبيه بالدم... (قال) عيسى بن=

وقال: سمعته يقول: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء.

كنتُ إذا كتبتُ عن رجلٍ سألته عن اسمِه وكُنْيَتِه ونِسْبَته وحَمْلِه الحديثَ، إنْ كان الرجلُ فهماً.

فإن لم يكن سألته أن يُخرِجَ إليّ أصلَه ونُسخته.

فأما الآخرون لا يُبالون ما يكتبون، وكيف يكتبون.

وقال: سمعت العباس الدُّوري يقول: ما رأيتُ أحداً يُحسنُ طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، كان لا يدعُ أصلاً ولا فرعاً إلا قَلَعَه.

ثم قال لنا: لا تَدَعوا من كلامه شيئاً إلا كتبتُموه.

وقال: كتب إلى أبي عبد الله بعضُ السلاطين في حاجة له، ودعا له دعاءً كثيراً.

فكتب إليه أبو عبد الله: سلامٌ عليك، فإني أحمدُ

= علي: إذا شرب منه نصف درهم نفع لجودة الحفظ ويعرض لأكثر من شربه يبس في الدماغ وسهر وبرسام وعطش شديد. انظر: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار.

إليكَ الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: وَصَلَ إليَّ كتابُك وفهمتُه، «وفي بيته يُؤتَى الحَكَمُ»[١٩]. والسلام.

وقال: سمعتُ إبراهيمَ الخوّاص ـ مُستملي صَدَقة ـ يقول: رأيتُ أبا زُرْعَة كالصبي جالساً بين يدي محمد بن إسماعيل، يسأله عن عِلَلِ الحديث.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنّا نقول له: إنك تختلِفُ معنا ولا تكتب، فما تصنعُ؟ فقال لنا يوماً ـ بعد ستة عشر يوماً -: إنّكما قد أكثرتُما عليَّ وألححتُما، فاعْرِضا عليَّ ما كَتبتُما.

فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر

---

(١٩) «وفي بيته يُؤتَى الحَكَمُ»: أصله مثل من أمثال العرب، قالوا: وجدت الضبعُ تمرةً، فاختلسها الثعلبُ، فلطمته فلطمَها، فتحاكما الى الضب، فقالت: يا أبا الحسل، قال: «سميعاً دعوتِ»، قالت: جئناكَ نحتكم إليك، قال: «في بيته يُؤتى الحَكَمُ»، فقالت: إني التقطتُ تمرة، قال: «حُلْواً جنيتِ»، قالت: إن الثعلب أخذها، قال: «حظ نفسه بغى»، قالت: لطمته، قال: «أسفت والبادي أظلم»، قالت: فلطمني، قال: «حُرٌّ انتصر»، قالت: اقضِ بيننا. قال: «حدِّث حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة». اهـ. وفي رواية: قالت: اقضِ بيننا. قال: «قد قَضَيتُ».

ألف حديث، فقرأها كلَّها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نُحْكِم كُتُبنا من حفظه.

ثم قال: أَتَرونَ أنّي أختلِفُ هَدْراً، وأُضَيِّعُ أيامي؟!

فعرفنا أنه لا يتقدّمُه أحد.

قال: وسمعتهما يقولان: كان أهلُ المعرفة من البصريين يَعْدُون خلفه في طلب الحديث وهو شابٌّ حتى يغلبوه على نفسه، ويُجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوفٌ، أكثرهم ممن يكتُب عنه.

وكان شابًّا لم يَخْرُج وجهه.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: قرأ علينا أبو عبد الله كتاب «الهبة»، فقال: ليس في «هبةِ» وكيع إلا حديثان مُسْندان أو ثلاثة.

وفي كتاب عبد الله بن المبارك خمسةٌ أو نحوه.

وفي كتابي هذا خمسُ مئة حديث أو أكثر.

وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: تفكّرتُ أصحاب أنس، فحضرني في ساعة ثلاث مئة.

قال: وسمعته يقول: ما قدِمتُ على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به.

قال: وسمعت سُلَيم بن مُجاهد، سمعت أبا الأزهر

يقول: كان بسمرقند أربعُ مئة ممّن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبُّوا مغالطة محمدِ بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسنادَ اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسَقْطَةٍ لا في الاسناد، ولا في المتن.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما نمتُ البارحة حتى عَدَدْتُ كم أَدخَلتُ في مصنّفاتي من الحديث، فإذا نحو مئتي ألف حديث مُسْنَدة.

وسمعته يقول: ما كتبتُ حكايةً قط، كنت أَتَحَفَّظُها.

وسمعته يقول: صَنَّفتُ كتابَ «الاعتصام» في ليلة.

وسمعته يقول: لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة.

فقلتُ له: يُمكنُ معرفة ذلك كله؟ قال: نعم(٢٠).

وسمعتُه يقول: كنتُ بنيسابور أجلسُ في الجامع، فذهب عَمرو بن زرارة، وإسحاق بن راهَوَيْه إلى يعقوب بن

(٢٠) قال المعلِّق على المجلد الثاني عشر (ص ٤١٢) من «سير أعلام النبلاء»: ومحاولة ابن حزم في «المحلى»، تؤيّد مقالة محمد بن إسماعيل هذه، فإنه على ما به من هنات قد استطاع باعتماده على الكتاب والسنة أن يؤلِّف كتاباً في الفقه يشتمل على جميع أبواب الفقه.

عبد الله، والي نيسابور، فأخبروه بمكاني، فاعتذر إليهم، وقال: مذهبُنا إذا رُفِعَ إلينا غريبٌ لم نعرفه حَبَسناه حتى يظهر لنا أمرُه.

فقال له بعضهم: بلغني أنه قال لك: لا تُحسنُ تصلي، فكيف تَجْلِسُ؟ فقال: لو قيل لي شيءٌ من هذا ما كنتُ أقومُ من ذلك المجلس حتى أروي عشرةَ آلاف حديث، في الصلاة خاصة.

وسمعته يقول: كنتُ في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عُروة، عن أبي الخَطَّاب، عن أنسٍ أن النبي ﷺ كان يطوفُ على نسائه في غُسلٍ واحد.

فلم يعرِف أحدٌ في المجلس أبا عروة، ولا أبا الخطاب.

فقلتُ: أما أبو عروة فمَعْمَرٌ، وأبو الخطاب قتادة.

قال: وكان الثوريُّ فَعُولاً لهذا، يُكَنِّي المشهورين.

قال محمد بن أبي حاتم: قَدِمَ رجاء الحافظ، فصار إلى أبي عبد الله، فقال لأبي عبد الله: ما أعددتَ لقُدُومي حين بَلَغَك؟ وفي أيِّ شيء نظرتَ؟ فقال: ما أحدثْتُ نَظَراً، ولم أستعِدَّ لذلك، فإنْ أحببتَ أن تسأل عن شيءٍ فافعل.

فجعل يُناظره في أشياء، فبقي رجاءُ لا يدري أين هو.

ثم قال له أبو عبد الله: هل لكَ في الزيادة؟ فقال استحياءً منه وخجلاً: نعم.

قال: سَلْ إن شئتَ؟ فأخذ في أسامي أيوب، فعَدَّ نحواً من ثلاثةَ عشر، وأبو عبد الله ساكتٌ.

فلما فرغ قال له أبو عبد الله: لقد جمعتَ، فظن رجاءُ أنه قد صَنعَ شيئاً، فقال لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله، فاتكَ خَيرٌ كثير.

فزيَّف أبو عبد الله في أولئك سبعةً أو ثمانية، وأغربَ عليه أكثر من ستين.

ثم قال له رجاء: كم رويتَ في العِمامة السوداء؟ قال: هات كم رويتَ أنتَ؟ ثم قال: نروي نحواً من أربعين حديثاً.

فخجل رجاء من ذاك، ويَبِسَ ريقُه.

قال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: دخلتُ بَلْخ، فسألني أصحابُ الحديث أن أُمْلِي عليهم لكلِّ مَن كتبت عنه حديثاً، فأمليتُ ألفَ حديثٍ لألفِ رجلٍ ممّن كتبت عنهم.

وقال محمد بن أبي حاتم: قال أبو عبد الله: سُئِل إسحاق بن إبراهيم عمّن طَلَّقَ ناسياً.

فسكت ساعةً طويلةً مُتفكِّراً، والتبس عليه الأمر.

فقلت أنا: قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل تجاوزَ عن أمتي ما حدَّثَتْ به أنفُسَها ما لم تَعمل به أو تَكَلَّم»(٢١).

وإنما يُرادُ مباشرةُ هذه الثلاث العمل والقلب، أو الكلام والقلب، وهذا لم يعتقد بقلبه.

فقال إسحاق: قَوَّيتَني، وأفتى به.

وقال محمد: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيلُ بن أبي أويس إذا انتخبتُ من كتابه نَسَخَ تلك الأحاديث، وقال: هذه الأحاديث انتخَبَها محمد بن إسماعيل من حديثي.

وقال محمد: سمعت الفربري، يقول: رأيت عبد الله بن مُنير يكتب عن البخاري، وسمعته يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو مُعَلِّم.

قال محمد: وسمعت أبا بكر المديني بالشاش زمن عبد الله بن أبي عَرابة يقول: كنا بنيسابور عند إسحاق ابن راهَوَيه، وأبو عبد الله في المجلس، فمر إسحاق بحديث، وكان دون الصحابي عطاء الكَيْخاراني، فقال إسحاق: يا أبا عبد الله، أيش كَيخاران؟ فقال: قريةٌ باليمن، كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل ـ وكان يسمِّيه أبو بكر،

---

(٢١) رواه البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (١٢٧).

فأُنْسِيتُه[٢٢] ـ إلى اليمن، فمر بكَيْخاران، فسمع منه عطاء حديثين، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك شَهِدْتَ القوم.

قال محمد بن يوسف الفربري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول في الزيادات المذيلة على شمائل أبي عبد الله، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما جلستُ للحديث حتى عرفتُ الصحيح من السقيم، وحتى نظرتُ في عامةِ كُتُب الرأي، وحتى دخلتُ البصرة خمسَ مرات أو نحوها.

فما تركتُ بها حديثاً صحيحاً إلا كتبتُه، إلا ما لم يظهر لي.

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت بعض أصحابي يقول:

كنتُ عند محمد بن سَلَام، فدخل عليه محمدُ بن إسماعيل، فلما خرج قال محمدُ بن سَلَام: كلّما دخل عليَّ

(٢٢) قائل «وكان يسمِّيه أبو بكر، فأُنْسِيتُه» هو أبو جعفر الوراق، يقول أنه سمع أبا بكر المديني بالشاش يذكر اسم الصحابي في الحديث لكن ورّاق البخاري نسيه.
وعبد الله بن أبي عَرابة المذكور هو الشّاشيّ الحافظ، من علماء الحديث، وتقع مدينة شاش الآن في أوزبكستان.

هذا الصبي تحيَّرْتُ، وألبسَ عليّ أمر الحديث وغيره، ولا أزال خائفاً ما لم يخرج.

قال أبو جعفر: سمعت أبا عُمر سُلَيم بن مجاهد يقول: كنتُ عند محمد بن سَلاَم البِيْكَندي، فقال: لو جئتَ قبلُ لرأيتَ صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث.

قال: فخرجتُ في طَلَبه حتى لحِقْتُه.

قال: أنت الذي يقول: إني أحفظُ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثر. ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عَرَّفتُكَ مولد أكثرهم ووفاتَهم ومساكنَهم، ولستُ أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصلٌ أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ.

وقال أبو جعفر: حدثني بعض أصحابي: إنّ أبا عبد الله البخاري صار إلى أبي إسحاق السُّرْماري عائداً، فلما خرج من عنده قال أبو إسحاق: من أرادَ أن ينظر إلى فقيهٍ بحقِّه وصِدْقِه، فلينظر إلى محمد بن إسماعيل...[٢٣].

وقال أبو جعفر: قال لي بعض أصحابي: كنتُ عند

(٢٣) ورد في «السير» (٤١٧/١٢) تتمة الكلام: «وأجلسه على حجره»، ولم ينقلها ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤٠٨/٥) أو «هدى الساري» (٥٤٠/٢/ ط. الرسالة)، وأخشى أنها مقحمة.

محمد بن سَلَام، فدخل عليه محمد بن إسماعيل حين قدم من العراق، فأخبره بمحنة الناس، وما صنع ابنُ حنبل وغيره من الأمور.

فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حضره: أترون البِكْرَ أشدَّ حياءً من هذا؟

وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرتُ أن أزيد في عُمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلتُ، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم.

قال: وسمعتُ يحيى بن جعفر ـ وهو البِيكَنْدي ـ يقول لمحمد بن إسماعيل: لولا أنتَ ما استطبتُ العيشَ ببُخارى.

وقال: سمعتُ محمد بن يوسف يقول: كنا عند أبي رجاء ـ هو قتيبة ـ فسُئِل عن طلاق السكران، فقال: هذا أحمد بن حنبل وابنُ المديني وابنُ راهَوَيه قد ساقهم الله إليكَ. وأشار إلى محمد بن إسماعيل(٢٤).

(٢٤) قال الذهبي معلّقاً: وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوب العقل حتى لا يذكر ما يحدث في سكره، أنه لا يجوز عليه من أمره شيء.

قال محمد: وسمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: لما مات أحمدُ بن حرب النيسابوري ركب محمدٌ وإسحاقٌ يُشَيِّعان جِنازته.

فكنتُ أسمعُ أهلَ المعرفة بنيسابور ينظرون، ويقولون: محمدٌ أفقه من إسحاق.

وقال: سمعتُ عمر بن حفص الأشقر، سمعتُ عَبدان يقول: ما رأيتُ بعيني شابًّا أبصرَ من هذا. وأشارَ بيده إلى محمد بن إسماعيل.

وقال: سمعتُ صالح بن مِسْمار المروزي يقول: سمعت نُعَيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال: سمعت إبراهيم بن خالد المروزي، يقول: قال مُسَدَّد: لا تختاروا على محمد بن إسماعيل، يا أهل خراسان.

وقال: سمعت موسى بن قُريش يقول: قال عبدُ الله بن يوسف للبخاري: يا أبا عبد الله، انظر في كتبي، وأَخْبِرْني بما فيه من السَّقْط، قال: نعم.

وقال محمد: حدثني محمد بن إسماعيل، قال: كنتُ إذا دخلتُ على سُليمان بن حرب يقول: بَيِّنْ لنا غَلَطَ شُعْبة.

قال: وسمعته يقول: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أكلِّم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في

القراءة، ففعلتُ، فدعا إسماعيلُ الجاريةَ، وأمرها أن تُخرج صرّةَ دنانير، وقال: يا أبا عبد الله، فَرِّقْها عليهم.

قلت: إنما أرادوا الحديثَ.

قال: قد أجَبتُك إلى ما طلبتَ من الزيادة، غير أني أُحِبُّ أن يُضَم هذا إلى ذاكَ ليظهر أثرك فيهم.

وقال: حدثني حاشد بن إسماعيل قال: لما قَدِمَ محمد بن إسماعيل على سليمان بن حرب نظر إليه سليمان، فقال: هذا يكون له يوماً صوت(٢٥).

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفَلّاس بحديث، فقلت: لا أعرفه، فسُرُّوا بذلك، وصاروا إلى عمرو، فأخبروه، فقال: حديثٌ لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مُصعب الزهري: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر [بالحديث](٢٦) من أحمد بن حنبل.

---

(٢٥) وردت العبارة في «هدى الساري» (٥٣٥/٢/ ط. الرسالة): «هذا يكون له صيتٌ».

(٢٦) ما بين معقوفتين من «هدى الساري» (٥٣٥/٢/ ط. الرسالة)، وأبو مصعب الزهري هو أحمد بن أبي بكر المدني (ت ٢٤٢هـ).

فقيل له: جاوزتَ الحدَّ.

فقال للرجل: لو أدركتَ مالكاً، ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحدٌ في الفقه والحديث.

قال: وسمعتُ حاشد بن إسماعيل يقول: سمعت إسحاق بن راهَوَيه يقول: اكتبوا عن هذا الشاب ـ يعني: البخاري ـ فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناسُ لمعرفته بالحديث وفقهه(٢٧).

قال: وسمعت علي بن حُجْر يقول: أخرجت خراسانُ ثلاثةً: أبو زرعة، ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن عبدالرحمن الدارمي.

---

(٢٧) ورد النص في «تاريخ بغداد» (٢٧/٢) بلفظ أطول، قال الخطيب: أَخْبَرَنِي أبو الوليد الدَّرْبَنْديّ، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل، يقول: رأيت إسحاق بن راهَوَيه جالساً على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئاً، فرجع إلى قول محمد، وقال إسحاق بن راهوَيه: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه.

ومحمد عندي أبصرُهم وأعلمُهم وأفقهُهم.

قال: وأوردتُ على علي بن حُجْر كتاب أبي عبد الله، فلما قرأه قال: كيف خَلَّفْتَ ذلك الكبْش؟ فقلتُ: بخير.

فقال: لا أعلم مثله.

وقال محمد: سمعت أبا عبد الله يقول: قال لي محمد بن بشار: إن ثوبي لا يَمَسُّ جلدي مَثَلاً، ما لم ترجع إليّ، أخاف أن تجد في حديثي شيئاً يُسَقِّمُني، فإذا رجعتَ فنظرتَ في حديثي طابت نفسي، وأمِنْتُ مما أخاف.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت إبراهيم بن خالد المروزي يقول: رأيتُ أبا عمار الحسين بن حريث يُثني على أبي عبد الله البخاري، ويقول: لا أعلم أني رأيتُ مثله، كأنه لم يُخْلَق إلا للحديث.

وقال محمد: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشامَ والحجازَ والكوفة، ورأيتُ علماءها، كلّما جرى ذكرُ محمد بن إسماعيل فَضَّلوه على أنفسهم.

وقال: سمعتُ محمد بن يوسف يقول: لما دخلتُ البصرة صِرتُ إلى بُندار، فقال لي: من أين أنتَ؟ قلت: من خراسان.

قال: من أيّها؟ قلت: من بُخارى، قال: تعرف محمد بن إسماعيل؟ قلت: أنا من قَرابته.

فكان بعد ذلك يرفَعُني فوق الناس.

قال محمد: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما دخلتُ البصرة صرتُ إلى مجلس بُندار، فلما وقع بصره عليَّ، قال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بُخارى، فقال لي: كيف تركتَ أبا عبد الله؟ فأمسكت.

فقالوا له: يرحمك الله هو أبو عبد الله.

فقام، وأخذ بيدي، وعانقني، وقال: مرحباً بمن أفتخِرُ به منذ سنين.

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل، سمعت محمد بن بشار يقول: لم يَدخل البصرة رجلٌ أعلمُ بالحديث من أخينا أبي عبد الله.

قال: فلما أراد الخروج ودَّعه محمدُ بن بشار، وقال: يا أبا عبد الله، موعدنا الحَشْرُ أن لا نلتقي بعدُ.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ جعفراً الفَرَبرِي يقول: سمعتُ عبد الله بن منير يقول: أنا من تلاميذ محمد بن إسماعيل، وهو مُعلِّمي، ورأيته يكتب عن محمد.

وقال محمد: حدثنا حاشد بن عبد الله بن

عبد الواحد، سمعتُ يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي يقول: محمد بن إسماعيل فَقِيهُ هذه الأمة.

وقال محمد: حدثني جعفر بن محمد الفَرَبرِي قال: خرج رجل من أصحاب عبد الله بن مُنير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بُخارى في حاجةٍ له.

فلما رجع قال له ابن منير: لقيتَ أبا عبد الله؟ قال: لا.

فطَرَدَه، وقال: ما فيك بعد هذا خير، إذ قَدِمْتَ بُخارى ولم تَصِرْ إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل.

وقال محمد: سمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: حضرتُ أبا بكر بن أبي شيبة، فرأيتُ رجلاً يقول في مجلسه: ناظر أبو بكر أبا عبد الله في أحاديث سفيان، فعَرَفَ كلّها، ثم أقبل محمدٌ عليه، فأغرب عليه مئتي حديث.

فكان أبو بكر بعد ذلك يقول: ذاك الفتى البازِل(٢٨).

وسمعت إبراهيم بن محمد بن سلام يقول: إن الرُّتُوت(٢٩) من أصحاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم،

---

(٢٨) قال الذهبي معلّقاً: والبازل الجمل الـمُسِن، إلا أنه يريد ها هنا البصير بالعلم، الشجاع.

(٢٩) الرُّتُوت: هم الرؤساء، قاله ابن الأَعرَابِي. «تغليق التعليق» (٥/٤٠٤).

ونُعيم بن حماد، والحُميدي، وحجّاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والعَدَني[٣٠]، والخلّال[٣١] بمكة، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشجّ[٣٢]، وإبراهيم بن المنذر الحِزامي، وإبراهيم بن موسى الفَرّاء، كانوا يهابون محمدَ بن إسماعيل، ويَقْضُون له على أنفسهم في المعرفة والنظر.

وقال محمد: حدثني حاتم بن مالك الوراق، قال: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامُنا وفقيهُنا وفقيه خراسان.

وقال محمد: سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان محمد بن إسماعيل يختلف إلى أبي حفص أحمد بن حفص البخاري وهو صغير، فسمعتُ أبا حفص يقول: هذا شاب كَيِّس، أرجو أن يكون له صِيتٌ وذِكْرٌ.

وقال محمد: سمعت أبا سهل محموداً الشافعي يقول:

---

(٣٠) قال ابن حجر: يعني محمد بن يحيى بن أبي عمر. «هُدى الساري» (٢/٥٣٦/ ط. الرسالة).

(٣١) قال ابن حجر: يعني الحسن بن علي الحلواني. «هُدى الساري» (٢/٥٣٦/ ط. الرسالة).

(٣٢) الأشج: هو أبو سعيد عبد الله بن سعيد. «هُدى الساري» (٢/٥٣٦/ ط. الرسالة).

سمعت أكثر من ثلاثين عالماً من علماء مصر، يقولون: حاجتُنا من الدنيا النظر في «تاريخ» محمد بن إسماعيل.

وقال محمد: حدثني صالح بن يونس، قال: سُئِل عبد الله بن عبد الرحمن(٣٣) عن حديث سالم بن أبي حفصة، فقال: كتبناه مع محمد، ومحمد يقول: سالم ضعيف.

فقيل له: ما تقول أنت؟ قال: محمد أبصر مني.

قال: وسُئِل عبد الله بن عبدالرحمن عن حديث محمد بن كعب: «لا يكذبُ الكاذبُ إلاّ من مَهَانَة نفسه عليه»(٣٤). وقيل له: محمدٌ يزعم أن هذا صحيح، فقال: محمدٌ أبصرُ مني، لأن هَمَّه النظَرُ في الحديث، وأنا مشغولٌ مريض، ثم قال: محمد أَكْيَسَ خلق الله. إنه عَقَلَ عن الله ما أمره به، ونهى عنه في كتابه، وعلى لسان نبيه. إذا قرأ محمدٌ القرآن، شَغَلَ قلبَه وبصرَه وسمعَه، وتفكَّر في أمثاله، وعرف حلاله وحرامه.

---

(٣٣) قال الذهبي معلّقاً: يعني: الدارمي. «السير» (٤٢٦/١).

(٣٤) نقل إسناده ابن حجر في «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس»، وفيه أحمد بن يزيد المكي؛ قال ابن حجر في «اللسان» (٥١٩): لا يُكتب حديثه. اهـ. وفيه بكير بن سليم الصراف (؟) لم أعرفه. ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٣٦/١) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٨/٩) عن محمد بن كعب القرظي من قوله.

وقال: كتب إليَّ سليمان بن مُجالد، إني سألتُ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي عن محمد، فقال: محمد بن إسماعيل أعلمُنا وأفقهُنا وأغوصُنا، وأكثرنا طلباً.

وقال: سمعت أبا سعيد المؤدِّب يقول: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: لم يكن يُشْبِه طلبُ محمدٍ للحديث طلبَنا، كان إذا نظر في حديث رجل أَنْزَفَه.

وقال: حدثني إسحاقُ ورّاق عبد الله بن عبدالرحمن، قال: سألني عبد الله عن كتاب «الأدب» من تصنيف محمد بن إسماعيل، فقال: احمِلْهُ لأنظر فيه. فأخذ الكتاب مني، وحبَسَه ثلاثة أشهر، فلما أخذتُ منه، قلت: هل رأيت فيه حشواً، أو حديثاً ضعيفاً؟ فقال: ابن إسماعيل لا يقرأ على الناس إلا الحديث الصحيح، وهل يُنكَر على محمد؟!

وقال: سمعت أبا الطيب حاتم بن منصور الكِسِّي يقول: محمد بن إسماعيل آيةٌ من آيات الله في بصرِه ونفاذه من العلم.

قال: وسمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق يقول: سمعت رجاء الحافظ يقول: فَضْلُ محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء.

فقال له رجل: يا أبا محمد، كُلُّ ذلك بمَرَّة؟!

فقال: هو آيةٌ من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

قال: وسمعت محمد بن يوسف يقول: سأل أبو عبد الله أبا رجاء البَغْلاني[٣٥] إخراج أحاديث ابن عيينة، فقال: منذ كتبتُها ما عرضتُها على أحد، فإنِ احتسبتَ ونظرتَ فيها، وعَلَّمتَ على الخطأ منها فَعَلتُ، وإلا لم أُحَدِّث بها، لأني لا آمن أن يكون فيها بعض الخطأ، وذلك أن الزِّحام كان كثيراً، وكان الناس يُعارضون كُتُبهم، فيُصَحِّحُ بعضُهم من بعض، وتركتُ كتابي كما هو. فسُرَّ البخاريُّ بذلك، وقال: وُفِّقْتَ.

ثم أخذ يختلف إليه كل يوم صلاةَ الغداة، فينظر فيه إلى وقت خروجه إلى المجلس، ويُعَلِّم على الخطأ منه.

فسمعتُ البخاريَّ رَدَّ على أبي رجاء يوماً حديثاً، فقال: يا أبا عبد الله، هذا مما كَتَب عنّي أهلُ بغداد، وعليه علامةُ يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، فلا أقدِرُ أُغَيِّرْهُ.

فقال له أبو عبد الله: إنما كَتَبَ أولئكَ عنكَ لأنك كنتَ مُجْتازاً، وأنا قد كتبتُ هذا عن عدَّةٍ على ما أقول لك، كتبته عن يحيى بن بكير، وابن أبي مريم، وكاتب الليث عن الليث.

فرجع أبو رجاء، وفَهِمَ قوله، وخضع له.

(٣٥) قال الذهبي معلّقاً: يعني: قتيبة. «السير» (٤٢٨/١).

قال: وسمعت محمد بن يوسف يقول: كان زكريا اللُّؤلؤي والحسن بن شُجاع ببَلْخ يمشيان مع أبي عبد الله إلى المشايخ إجلالاً له وإكراماً.

قال: وسمعت حاشد بن إسماعيل يقول: رأيتُ إسحاقَ بن راهَوَيه جالساً على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه، وإسحاق يقول: حدَّثَنا عبد الرزاق، حتى مَرَّ على حديث، فأنكر عليه محمد، فرجع إلى قول محمد.

ثم رأيتُ عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل يسألانه عن عِلَل الحديث، فلمّا قاما قالا لمن حضر: لا تُخْدَعوا[٣٦] عن أبي عبد الله، فإنه أفقهُ منّا وأعلمُ وأبصر.

قال: وسمعت حاشد بن عبد الله يقول: كنا عند إسحاق وعَمرو بن زرارة ثَمَّ، وهو يستملي على البخاري، وأصحابُ الحديث يكتبون عنه، وإسحاق يقول: هو أبصرُ مني.

وكان محمد يومئذٍ شابًّا.

وقال: حدثني محمد بن يوسف قال: كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار، فسأله محمد بن بشار عن

(٣٦) قال المعلِّق على «السير» (١٢/٤٢٩): أي لا تتركوه يفوتكم.

حديث، فأجابه، فقال: هذا أفقهُ خلقِ الله في زماننا. وأشار إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت سُلَيم بن مجاهد يقول: لو أن وكيعاً وابن عُيَينة وابنَ المبارك كانوا في الأحياء، لاحتاجوا إلى محمد بن إسماعيل.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال لي إسماعيل بن أبي أويس: انظر في كتبي وما أملِكُه لك، وأنا شاكرٌ لك ما دمتُ حيًّا.

وقال: قال لي أبو عمرو الكرماني: سمعت عَمرو بن علي الصَّيرفي يقول: أبو عبد الله صديقي، ليس بخراسان مثله.

فحكيتُ لمهيار[٣٧] بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رُحِلَ إليَّ من شرق الأرض وغربها، فما رُحِلَ إليَّ مثل محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق، أنا رأيته مع

---

(٣٧) مهيار: هو محمد بن الحسين بن معدان أبو جعفر البجلي، ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/٢٢٤) فقال: يُعرَف بمهيار الوراق، حدَّث عن إسماعيل بن أبي أويس، ومحبوب بن موسى الأنطاكي، وجمعة بن عبد الله البلخي. روى عنه القاسم بن زكريا المطرز، ويحيى بن محمد بن صاعد، وكان ثقة.

يحيى بن معين، وهما يختلفان جميعاً إلى محمد بن إسماعيل، فرأيتُ يحيى ينقادُ له في المعرفة.

وقال: سمعت أبا سعيد الأشج، وخرجَ إلينا في غَداةٍ باردة، وهو يرتعدُ من البرد، فقال: أيكونُ عندكم مثلُ ذا البَرْد؟

فقلت[٣٨]: مثل ذا يكون في الخريف والربيع، وربما نُمسي والنهرُ جارٍ، فنصبحُ ونحتاجُ إلى الفأس في نَقْبِ الجَمَد.

فقال لي: من أيّ خُراسان أنتَ؟ قلت: من بُخارى.

فقال له ابنُه: هو من وطن محمد بن إسماعيل.

فقال له: إذا قَدِمَ عليك من يتوسّل به فاعرفْ له حقّه، فإنه إمامٌ.

وقال: سمعت أحمد بن عبد الله بن ثابت الشاشي، سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ما أخذ عني أحدٌ ما أخذ عني محمد، نظر إلى كتبي، فرآها دارسةً، فقال لي: أتأذنُ لي أن أجدِّدها؟ فقلت: نعم.

فاستخرج عامةَ حديثي بهذه العِلّة.

---

(٣٨) القائل هو محمد بن أبي حاتم وراق البخاري.

وقال: سمعت أبا إسحاق المروزي يقول: دخلتُ على علي بن حُجْر ساعةَ وَدَّعه عبد الله بن عبدالرحمن، فسمعته يقول: قُلْ في أدب عبد الله بن عبد الرحمن ما شئتَ، وقُلُ في علم محمدٍ ما شئت.

وقال: سمعت محمد بن الليث يقول، وذُكِر عنده عبدُ الله ومحمد، فسمع بعضَ الجماعة يُفَضِّل عبدَ الله على محمد، فقال: إذا قدَّمتوه فقدِّموه في الشعر والعربية، ولا تقدِّموه عليه في العلم.

وقال: سمعت حاشِدَ بن إسماعيل يقول: كان عبد الله بن عبد الرحمن يَدُسُّ إليّ أحاديثَ من أحاديثهِ المُشْكِلَة عليه، يسألُني أن أعرِضَها على محمد، وكان يَشتهي أن لا يعلم محمد، فكنتُ إذا عَرضتُ عليه شيئاً يقول: مِن ثَمَّ جاءت؟

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت حاشدَ بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أهلُ المعرفةِ بالبصرة يَعْدُون خلفَ البخاري في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلِبُوه على نفسه، ويُجلِسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوفٌ أكثرُهم ممن يكتب عنه.

قالا: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابًا، لم يخرج وجهُه.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعته[٣٩] يقول: لا يكون لي خصمٌ في الآخرة.

فقلتُ: إن بعض الناس ينقمون عليك في كتاب «التاريخ»، ويقولون: فيه اغتياب الناس.

فقال: إنما روينا ذلك روايةً، لم نَقُلْه من عند أنفسنا، قال النبي ﷺ: «بئس مولى العشيرة»[٤٠].

وسمعته يقول: ما اغتبتُ أحداً قطُّ منذ علمت أن الغيبةَ تَضُرُّ أهلَها.

قال: وكان أبو عبد الله يُصَلِّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة [يوتر منها بواحدة][٤١].

وكان لا يُوقظني في كلِّ ما يقوم، فقلتُ: أراكَ تحمِلُ على نفسك، ولم توقظني.

قال: أنتَ شابٌّ، ولا أُحِبُّ أن أُفْسِدَ عليك نومك.

---

(٣٩) يعني الإمام البخاري.

(٤٠) لم أقف على لفظ «مولى» في الحديث، والذي في «البخاري» (٦٠٣٢) ومسلم (٢٥٩١): «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ».

(٤١) ما بين معقوفتين زيادة وردت في «تاريخ بغداد» (١٣/٢) و«تاريخ دمشق» (٧١/٥٢) من طريق محمد بن حام عن الفربري عن وراق البخاري.

وقال محمد بن أبي حاتم: دُعِيَ محمدُ بن إسماعيل إلى بستانٍ بعض أصحابه، فلما صلَّى بالقوم الظُّهر، قام يَتَطَوَّعُ، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيلَ قميصه، فقال لبعض مَن معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبورٌ قد أَبَرَهُ في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً.

وقد تورّم من ذلك جسده.

فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أَبَرَكَ؟ قال: كنتُ في سُورة، فأحببتُ أن أُتِمَّها!

وقال: سمعت عبد الله بن سعيد بن جعفر يقول: سمعت العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثلُ محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح.

وقال محمد بن أبي حاتم: ركبنا يوماً إلى الرمي، ونحن بفَرَبر، فخرجنا إلى الدرب الذي يُؤَدّي إلى الفُرْضة(٤٢).

فجعلنا نرمي، وأصاب سهمُ أبي عبد الله وَتِدَ القَنطَرة الذي على نهر ورَّادة، فانشق الوَتِد.

---

(٤٢) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٤٢١/٢/ ط. الرسالة): «الفُرْضة بضم الفاء وسكون الراء بعدها ضاد معجمة، مدخل الطريق إلى الجبل، وقيل الشق المرتفع كالشرافة، ويقال أيضاً لمدخل النهر».

فلما رآه أبو عبد الله، نزل عن دابته، فأخرج السهمَ من الوَتِد، وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا.

ورجعنا معه إلى المنزل، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجةٌ تقضيها؟ قلت: أمرُك طاعةٌ.

قال: حاجة مُهِمّة، وهو يتنفَّسُ الصُّعَداء.

فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تُعينوه على ما سألته، فقلت: أيّةُ حاجةٍ هي؟ قال لي: تضمنُ قضاءها؟ قلت: نعم، على الرأس والعين، قال: ينبغي أن تَصيرَ إلى صاحب القَنطرة، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوَتِد، فنحب أن تأذنَ لنا في إقامة بَدَلِه، أو تأخذ ثمنَه، وتجعلنا في حِلٍّ مما كان مِنّا، وكان صاحبُ القَنطرة حُميد بن الأخضر الفربري.

فقال لي: أَبْلِغْ أبا عبد الله السلام، وقُلْ له: أنتَ في حِلٍّ مما كان منك.

وقال: جميع ملكي لك الفِداء، وإنْ قلتُ: نفسي، أكون قد كذبتُ، غير أني لم أكن أُحِبُّ أن تحتشمني في وتدٍ أو في مُلكي.

فأبلغته رسالته، فتهلَّل وجهه، واستنار، وأظهر سروراً، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحواً من خمس مئة حديث، وتصدَّق بثلاث مئة درهم.

قال: وسمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في

حِلٍّ يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ قال: رويتُ يوماً حديثاً، فنظرتُ إليك، وقد أُعْجِبْتَ به، وأنت تُحَرِّكُ رأسَك ويدَك، فتبَسَّمتُ من ذلك.

قال: أنت في حِلٍّ، رحمك الله يا أبا عبد الله.

قال: ورأيتُه استلقى على قفاه يوماً، ونحن بفربر في تصنيفه كتاب «التفسير»، وأَتعَبَ نفسه ذلك اليوم في كَثْرة إخراج الحديث.

فقلت له: إني أراك تقول: إني ما أثبتُّ شيئاً بغير علم قطُّ منذ عَقَلتُ، فما الفائدة في الاستلقاء؟

قال: أتعبْنا أنفسَنا اليوم، وهذا ثغرٌ من الثُّغور، خشيتُ أن يَحدُثَ حَدَثٌ من أمر العدو، فأحببتُ أن أستريح، وآخُذَ أُهبة، فإن غافَصَنا العدو كان بنا حَراكٌ.

قال: وكان يركبُ إلى الرمي كثيراً، فما أعلمني رأيته في طولِ ما صحِبْتُه أخطأ سهمُه الهدفَ إلا مرتين، فكان يصيبُ الهدفَ في كلِّ ذلك، وكان لا يُسْبَق.

قال: وسمعته يقول: ما أكلتُ كُرّاثاً قطُّ، ولا القَنَابَرَى(٤٣). قلت: ولِـمَ ذاك؟ قال: كرهتُ أن أوذي من معي من نَتَنِهما.

---

(٤٣) القنابرى ـ بفتح الراء ـ: بقلة الغملول، كما في «القاموس»: وانظر =

قلت: وكذلك البصل النيءُ؟ قال: نعم.

قال: وحدّثني محمد بن العباس الفربري، قال: كنتُ جالساً مع أبي عبد الله البخاري بفربر في المسجد، فدفعتُ من لحيته قَذَاةً مثلَ الذَّرَّةِ أَذْكُرُها، فأردتُ أن أُلقيها في المسجد، فقال: أَلْقِها خارجاً من المسجد.

قال: وأملَى يوماً عليَّ حديثاً كثيراً، فخافَ مَلالي، فقال: طِبْ نفساً، فإنّ أهلَ الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنتَ مع النبي ﷺ وأصحابه.

فقلتُ: ليس شيءٌ من هذا، يرحمك الله إلاّ وأنا أرى الحظَّ لنفسي فيه.

قال: وسمعته يقول: ما أردتُ أن أتكلَّم بكلامٍ فيه ذكرُ الدنيا إلا بدأتُ بحمدِ الله والثناءِ عليه.

وقال له بعض أصحابه: يقولون: إنك تناولتَ فلاناً.

قال: سبحان الله. ما ذكرتُ أحداً بسوء إلا أن أقولَ ساهياً، وما يَخْرُجُ اسمُ فلانٍ من صحيفتي يوم القيامة.

قال: وضيَّفه بعض أصحابه في بستان له، وضيَّفنا

= «القانون في الطب» (٤٢٢/١) لمعرفة فوائده. (حاشية السير ٤٤٥/١٢).

معه، فلما جلسنا أعجبَ صاحبَ البستان بستانُه، وذلك أنه كان عمل مجالسَ فيه، وأجرى الماءَ في أنهاره.

فقال له: يا أبا عبد الله، كيف ترى؟

فقال: هذه الحياةُ الدنيا.

قال: وكان لأبي عبد الله غَرِيمٌ قَطَعَ عليه مالاً كثيراً، فبلغه أنه قدِمَ آمُل، ونحن عنده بفَرَبْر، فقلنا له: ينبغي أن تعبُرَ وتأخُذْه بمالك.

فقال: ليس لنا أن نُرَوِّعَه.

ثم بلغ غريمه مكانه بفَرَبْر، فخرج إلى خُوارزم، فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكشاني عامل آمل ليكتب إلى خُوارزم في أخذه، واستخراج حقِّك منه، فقال: إنْ أخذتُ منهم كتاباً طمِعوا منّي في كتاب، ولست أبيعُ دِيني بدُنياي.

فجَهِدْنا، فلم يأخذ، حتى كلَّمنا السلطان عن غير أمره، فكتب إلى والي خُوارزم.

فلما أُبْلِغَ أبا عبد الله ذلك، وَجَدَ وَجْداً شديداً، وقال: لا تكونوا أشفقَ عليَّ من نفسي.

وكتب كتاباً، وأردف تلك الكتبَ بكُتُب، وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم أن لا يتعرّض لغريمهِ إلاّ بخير.

فرجع غريمُه إلى آمُل، وقصد إلى ناحية مرو.

فاجتمع التجار، وأُخْبِرَ السلطانُ بأن أبا عبد الله خرج في طلبِ غريم له، فأراد السلطان التشديدَ على غريمه، وكره ذلك أبو عبد الله، وصالحَ غريمَه على أن يُعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئاً يسيراً.

وكان المالُ خمسةً وعشرين ألفاً.

ولم يصِلْ من ذلك المال إلى درهم، ولا إلى أكثر منه.

قال: وسمعتُ أبا عبد الله، يقول: ما تولَّيتُ شراءَ شيء ولا بيعه قط.

فقلت له: كيف، وقد أحلَّ الله البيع؟

قال: لِـمَا فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيتُ إنْ تولَّيتُ أن أستوي بغيري.

قلت: فمَن كان يتولّى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟

قال: كنتُ أُكْفَى ذلك.

قال: وسمعت محمد بن خِداش يقول: سمعت أحمد بن حفص يقول: دخلت على أبي الحسن(٤٤) والد أبي

---

(٤٤) قال الذهبي في «السير» (١٢/٤٤٧) معلّقاً: يعني: إسماعيل.

عبد الله عند موته، فقال: لا أعلمُ من مالي درهماً من حرام، ولا درهماً من شُبْهة.

قال أحمد: فتصاغَرَت إليَّ نفسي عند ذلك.

ثم قال أبو عبد الله: أَصْدقُ ما يكون الرجلُ عند الموت.

قال: وكان أبو عبد الله اكترى منزلاً، فلبثَ فيه طويلاً، فسمعته يقول: لم أمسح ذَكَري بالحائط، ولا بالأرض في ذلك المنزل.

فقيل له: لِـمَ؟ قال: لأن المنزلَ لغيري.

قال: وقال لي أبو عبد الله يوماً بفربر: بلغني أن نخّاساً قَدِمَ بجَواري، فتصير معي؟ قلتُ: نعم، فصِرنا إليه، فأخرج جواريَ حساناً صباحاً.

ثم خرج من خلالهن جارية خَزَرِية دميمةً عليها شحم، فنظر إليها، فمسَّ ذَقْنَها، فقال: اشترِ هذه لنا منه.

فقلت: هذه دميمةٌ قبيحةٌ لا تَصْلُح، واللاتي نظرنا إليهنَّ يمكن شراءهنَّ بثمن هذه.

فقال: اشترِ هذه، فإني قد مَسسْتُ ذَقنها، ولا أحبُّ أن أمسَّ جارية ثم لا أشتريها.

فاشتراها بغلاء خمس مئة درهم على ما قال أهل المعرفة.

ثم لم تزل عنده حتى أخرجها معه إلى نيسابور.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا عبد الله يقول: ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالةٍ إذا دَعَا لم يُسْتَجَب له.

فقالت له امرأةُ أخيه بحضرتي: فهل تبيَّنْتَ ذلك أيها الشيخ من نفسِك، أو جرَّبتَ؟

قال: نعم. دعوتُ ربّي عز وجل مرتين، فاستجابَ لي، فلن أُحِبّ أن أدعو بعد ذلك، فلعله يَنْقُص من حسناتي، أو يُعَجِّل لي في الدنيا.

ثم قال: ما حاجةُ المسلم إلى الكذب والبخل؟!!

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: خرجتُ إلى آدم ابن أبي إياس، فتخَلَّفَت عني نفقتي، حتى جعلتُ أتناولُ الحشيشَ، ولا أُخْبِر بذلك أحداً، فلما كان اليوم الثالث، أتاني آتٍ لم أعرفه، فناولني صُرَّة دنانير، وقال: أَنْفِقْ على نفسك.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت الحسين بن محمد السمرقندي يقول: كان محمد بن إسماعيل مخصوصاً بثلاثِ خِصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة: كان قليلَ

الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغلُ بأمور الناس، كلُّ شُغْله كان في العلم.

وقال: سمعت سُلَيم بن مجاهد يقول: ما بقي أحدٌ يُعَلِّم الناسَ الحديثَ حِسْبةً غير محمد بن إسماعيل.

ورأيت سُلَيم بن مجاهد يسأل أبا عبد الله أن يُحَدِّثه كل يوم بثلاثة أحاديث، ويُبَيِّن له معانيها وتفاسيرها وعللها، فأجابه إلى ذلك قدر مُقامه. وكان أقامَ في تلك الدفعة جُمعة.

وسمعت سُلَيماً يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورعَ، ولا أزهدَ في الدنيا، من محمد بن إسماعيل.

قال محمد بن أبي حاتم: كانت له قطعةُ أرضٍ يَكْرِيها كل سنةٍ بسبع مئة درهم، فكان ذلك المُكْتَري ربما حَمَل منها إلى أبي عبد الله قِثّاةً أو قثّاتَين، لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقثّاء النضيج، وكان يُؤْثِرَه على البطيخ أحياناً، فكان يَهَبُ للرجل مئة درهم كل سنة لحمله القثاء إليه أحياناً.

قال: وسمعته يقول: كنت أستَغِلُّ كل شهر خمس مئة درهم، فأنفقتُ كلَّ ذلك في طلب العلم.

فقلت: كم بين مَن يُنفِق على هذا الوجه، وبين من كان خِلْواً من المال، فجمع وكسب بالعلم، حتى اجتمع له.

فقال أبو عبد الله: ﴿ما عند الله خير وأبقى﴾ (الشورى، ٣٦).

قال: وكنا بفَرَبر، وكان أبو عبد الله يَبني رباطاً مما يلي بُخارى، فاجتمع بَشَرٌ كثيرٌ يُعينونه على ذلك، وكان ينقل اللَّبِن، فكنتُ أقول له: إنك تُكْفَى يا أبا عبد الله، فيقول: هذا الذي ينفعُنا. ثم أخذ ينقل الزَّنْبَرات[٤٥] معه.

وكان ذبح لهم بقرة، فلما أدرَكَت القُدورُ، دعا الناسَ إلى الطعام، وكان بها مئةُ نفس أو أكثر، ولم يكن عَلِمَ أنه يجتمعُ ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فرَبر خبزاً بثلاثة دراهم أو أقل، فألقينا بين أيديهم، فأكل جميعُ مَن حضر، وفضلتْ أرغفةٌ صالحة، وكان الخبزُ إذ ذاك خمسة أمناء[٤٦] بدرهم.

قال: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهارُ، فلا يأكل فيه رُقاقة، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً، وكان يجتنِبُ توابلَ القُدورِ مثل الحمص وغيره، فقال لي يوماً شبهَ

(٤٥) الزنبرات: جمع زنبر، وهو الزنبيل. فارسية معربة. حاشية «السير» (٤٥٠/١٢)، اهـ. والزنبيل: هو السَّلَّة.

(٤٦) ورد في «لسان العرب» (مادة: منن): «المَنُّ لغة في المَنَا الذي يوزن به. الجوهري. والمَنُّ المَنَا وهو رطلان، والجمع أَمْنانٌ، وجمع المَنا أَمْناءٌ. ابن سيده. المَنُّ كيل أو ميزان والجمع أَمْنا».

المُتَفَرِّج بصاحبه: يا أبا جعفر، نحتاجُ في السنة إلى شيءٍ كثير، قلت له: قَدْرُ كَمْ؟ قال: أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف درهم، أو خمسة آلاف درهم.

قال: وكان يتصدَّقُ بالكثير، يأخذُ بيده صاحبَ الحاجة من أهل الحديث، فيُناوِلَه ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقلَّ وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحدٌ، وكان لا يُفارِقهُ كيسُه.

ورأيته ناوَلَ رجلاً مراراً صُرَّةً فيها ثلاثُ مئة درهم، ـ وذلك أنّ الرجلَ أخبرني بعَدَدِ ما كان فيها من بعد ـ فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبد الله: ارفُقْ، واشتغل بحديثٍ آخر. كيلا يعلم بذلك أحدٌ.

قال: وكنتُ اشتريتُ منزلاً بتسع مئة وعشرين درهماً، فقال: لي إليكَ حاجةٌ تَقْضيها؟

قلت: نعم، ونُعْمَى عين.

قال: ينبغي أن تصير إلى نوح بن أبي شدّاد الصَّيرفي، وتأخذ منه ألفَ درهم، وتحملَه إليَّ.

ففعلتُ، فقال لي: خُذْه إليكَ، فاصرفه في ثمن المنزل.

فقلت: قد قَبِلْتُه منك. وشَكَرتُه.

وأقبلنا على الكتابة، وكُنّا في تصنيف «الجامع».

فلما كان بعد ساعة، قلت: عَرَضَتْ لي حاجة لا أَجْتَرِئُ رفعَها إليك، فظَنَّ أنّي طَمِعْتُ في الزيادة، فقال: لا تحتشمْني، وأخبرْني بما تحتاج، فإني أخاف أن أكون مأخوذاً بسببك، قلت له: كيف؟

قال: لأن النبي ﷺ آخى بين أصحابه.

فذكر حديث سعد وعبد الرحمن.

فقلت له: قد جعلتُك في حِلٍّ من جميع ما تقول، ووهبتُ لكَ المالَ الذي عرضتَه عليَّ، عَنَيتُ المُناصفة.

وذلك أنه قال: لي جَوَارٍ وامرأةٌ، وأنتَ عَزَبٌ، فالذي يجبُ عليَّ أن أُناصِفَكَ لنستوي في المال وغيره، وأربح عليكَ في ذلك.

فقلت له: قد فعلتَ ـ رحمك الله ـ أكثرَ من ذلك إذ أَنْزَلْتَني من نفسك ما لم تُنْزِل أحداً، وحللتُ منك محلَّ الولد.

ثم حفظ عليَّ حديثي الأول، وقال: ما حاجتُك؟

قلت: تَقْضِيها؟

قال: نعم، وأُسَرُّ بذلك.

قلت: هذه الألف، تَأْمُرُ بقَبوله، واصْرِفه في بعض ما تحتاجُ إليه.

فقَبِلَه، وذلك أنه ضَمِنَ لي قضاءَ حاجتي.

ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف «الجامع»، وكتبنا منه ذلك اليومَ شيئاً كثيراً إلى الظُّهر، ثم صَلَّينا الظهر، وأقبلنا على الكتابة من غير أن نكون أكلنا شيئاً، فرآني لـمّا كان قُرب العصر شِبْه القَلِق المستوحش، فتَوَهَّم فِيَّ ملالاً. وإنما كان بي الحُصُر(٤٧) غير أني لم أكن أقدر على القيام، وكنتُ أتَلَوَّى اهتماماً بالحُصُر.

فدخل أبو عبد الله المنزل، وأخرج إليَّ كاغدةً فيها ثلاثُ مئة درهم، وقال: أما إذْ لم تقبل ثمنَ المنزل، فينبغي أن تصرِفَ هذا في بعض حوائجك.

فجهَدَني، فلم أقبل.

---

(٤٧) الحُصُرُ: احتباس البطن، وقد حُصِرَ غائطه على ما لم يسمَّ فاعله وأُحْصِرَ.الأَصمعي واليزيدي. الحُصْرُ من الغائط والأُسْرُ من البول. الكسائي. حُصِرَ بغائطه وأُحْصِرَ بضم الأَلف. ابن بُزُرج. يقال للذي به الحُصْرُ محصور وقد حُصِرَ عليه بولُه يُحْصَرُ حَصْراً أَشَدَّ الحصْرِ، وقد أَخذه الحُصْرُ وأَخذه الأُسْرُ شيء واحد وهو أَن يمسك ببوله يَحْصُرُ حَصْراً فلا يبول. «لسان العرب» (مادة: حصر).

ثم كان بعد أيام، كتبنا إلى الظُّهر أيضاً، فناولني عشرين درهماً.

فقال: ينبغي أن تصرف هذه في شراء الخُضر ونحو ذلك.

فاشتريتُ بها ما كنتُ أعلم أنه يلائمُه، وبعثتُ به إليه، وأتيتُ.

فقال لي: بَيَّضَ الله وجهَكَ، ليس فيكَ حيلةٌ، فلا ينبغي لنا أن نُعَنِّي أنفسنا.

فقلت له: إنك قد جمعتَ خيرَ الدنيا والآخرة، فأيُّ رجلٍ يَبَرُّ خادمَه بمثل ما تَبَرُّني إنْ كنتْ لا أعرف هذا، فلستُ أعرف أكثر منه.

سمعت عبد الله بن محمد الصارفي(٤٨) يقول: كنتُ عند أبي عبد الله في منزله، فجاءتهُ جاريةٌ، وأرادت دخولَ المنزل، فعثَرتْ على محبرةٍ بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريق، كيف أمشي؟ فبسط يديه، وقال لها: اذهبي فقد أعتقتُكِ.

---

(٤٨) ووردت نسبته «الصارفي» في «هُدى الساري» (٥٣١/٢/ ط. الرسالة)، ووردت في «تغليق التعليق» (٣٩٥/٥): الصيارفي، ولم أعرفه.

قال: فقيل له فيما بعد: يا أبا عبد الله، أغضبتكَ الجارية؟ قال: إنْ كانت أغضبتني فإني أَرْضَيتُ نفسي بما فعلت.

وقال محمد الوراق: دخل أبو عبد الله بفَرَبر الحمّام، وكنتُ أنا في مَشْلَح الحمام، أتعاهدُ عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه، فلبسها، ثم ناولته الخُفَّ، فقال: مَسِسْتَ شيئاً فيه شَعْر النبي ﷺ.

فقلتُ: في أي موضعٍ هو من الخُفِّ؟ فلم يُخبرني.

فتوهَّمْتُ أنه في ساقه بين الظِّهارة والبِطانة.

وقال محمد بن أبي حاتم: أتى رجلٌ أبا عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلاناً يُكَفِّرُكَ! فقال: قال النبي ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافرُ، فقد باءَ بهِ أحدُهما»(٤٩).

وكان كثيرٌ من أصحابه يقولون له: إن بعضَ الناس يقعُ فيكَ، فيقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء، ٧٦)، ويتلو أيضاً: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾

(٤٩) رواه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه البخاري (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(فاطر، ٤٣)، فقال له عبد المجيد بن إبراهيم: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلِمونَك ويَتناولونك ويَبْهَتُونك؟ فقال: قال النبي ﷺ: «اصبِروا حتى تَلْقَوْني على الحوض»(٥٠)، وقال ﷺ: «من دَعَا على ظالمه، فقد انتصر»(٥١).

قال محمد بن أبي حاتم: وسمعته يقول: لم يكن يتعرَّض لنا قطُّ أحدٌ من أفْناء الناس إلا رُمِيَ بقارِعة، ولم يَسْلَم، وكلّما حدّث الجهال أنفسَهم أن يمكُروا بنا رأيتُ من ليلتي في المنام ناراً تُوقد ثم تُطْفَأ من غير أن يُنتَفَع بها، فأتأوَّل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ (المائدة، ٦٤).

وكان هِجِّيراهُ من الليل إذا أتيته في آخر مَقدَمه من العراق: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (آل عمران، ١٦٠).

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا منصور

---

(٥٠) رواه البخاري (٣١٤٧) ومسلم (١٠٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه البخاري (٣٧٩٢) ومسلم (١٨٤٥) من حديث أُسَيْد بن حُضَيْر رضي الله عنه، ورواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٥١) رواه الترمذي (٣٥٤٧) وقال: حديث غريب.

غالبَ بن جبريل(٥٢) ـ وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله ـ يقول: إنه أقام عندنا أياماً، فمَرِض، واشتدَّ به المرضُ حتى وَجَّهَ رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيّأ للركوب، فلبِسَ خُفَّيه، وتعمَّم، فلمّا مشى قدَرَ عشرين خطوة أو نحوها، وأنا آخذ بعَضُده، ورجلٌ أخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله. أَرْسِلُوني، فقد ضعفتُ.

فدعا بدعواتٍ، ثم اضطجع، فقضى رحمه الله(٥٣).

---

(٥٢) ترجم له الخطيب في «المتفق والمفترق» فقال: أخبرني الأزهري قال: قال لنا أبو سعد الإدريسي: غالب بن جبريل الخَرْتَنْكي السمرقندي، شيخ آخر كنيته أبو منصور، نزل عليه محمد بن إسماعيل البخاري، ومات عنده وتولّى أسباب دفنه، حكى ذلك عنه أبو جعفر محمد بن أبي حاتم وراق محمد بن إسماعيل. قال الإدريسي: لا أعلم له حديثاً مسنداً، يقال إنه كان من أهل العلم، تُحكى عنه حكايات وفضائل لمحمد بن إسماعيل، ذُكِر لي أن غالب بن جبريل هذا مات بعد البخاري بقليل وأوصى أن يُدفن إلى جنبه.

(٥٣) قال ابن عدي في «الكامل»: سَمِعت الحَسَن بن الحُسَين البَزَّاز يَقُول: رَأَيْتُ مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل شَيخاً نحيف الجِسْم، ليس بالطويل ولا بالقصير، وُلِدَ يومَ الجُمُعَة بعد الصَّلاَة لثلاث عشرَة ليلة خلت من شَوَّال سنة أربع وَتِسْعين وَمِئَة ببُخارى، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء، وليلة الفطر، ودُفِن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرّة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين، عاش اثنتين وستين سنة، إلّا ثلاثة عشر يوماً.

فسال منه العَرَقُ شيءٌ لا يُوصف.

فما سكن منه العَرَقُ إلى أن أدرجناه في ثيابه.

وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا: أن كَفِّنوني في ثلاثة أثوابٍ بيض ليس فيها قميصٌ ولا عمامة، ففعلنا ذلك.

فلما دفنّاه فاح من تُراب قبره رائحةُ غاليةٍ(٥٤) أطيب من المسك، فدام ذلك أياماً، ثم عَلَت سَوَاريُّ بِيضٌ في السماء مستطيلةٌ بحذاءِ قبره، فجعل الناسُ يختلفون، ويتعجبون.

وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر(٥٥)، حتى ظهر القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس.

---

(٥٤) الغالِيَةُ: طِيبٌ معروفٌ، أَوَّلُ مَنْ سَمَّاها بذلكَ سُلَيْمانُ بن عبد الملِكِ؛ كما في الصِّحاح؛ وإِنَّما سُمِّيَت لأَنَّها أَخْلاطٌ، تُغْلَى على النَّارِ مع بعضِها. «تاج العروس» (٣٩/ ١٨٤).

(٥٥) هذا فعل الجُهّال، فلا يجوز التبرك بتراب القبور ولا الاستشفاء بها، وإن صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم ـ وهم أحرص الناس على السنّة وأحبّهم لرسول الله ﷺ وأكثرهم تعظيماً له وأعرفهم بأحكام دينهم ـ لم يرد عن أحد منهم أنه كان يأخذ شيئاً من تراب قبر النبي ﷺ ويتبرّك به أو يستشفي به، مع أنّ القبرَ كان تراباً وفي غرفة عائشة ﵂، ومن السهولة بمكان الوصول إليه والأخذ من ترابه، ومع هذا لم يفعلوه لأنه من البدع، «وكلُّ بدعةٍ ضلالة»، وقد يكون وسيلة للشرك والعياذ بالله.

وغُلِبْنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشباً مشبَّكاً لم يكن أحدٌ يقدِر على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلُصون إلى القبر.. وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة، حتى تَحَدَّث أهلُ البلدة، وتعجّبوا من ذلك، وظهر عند مُخالفيه أمرُه بعد وفاته، وخرج بعضُ مُخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذمومِ المذهب.

قال محمد بن أبي حاتم: ولم يعش أبو منصور غالبُ بن جبريل بعده إلا القليل، وأوصى أن يُدفَن إلى جَنْبِه.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا ذر يقول: رأيتُ محمد بن حاتم الخَلْقاني في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألتُه ـ وأنا أعرف أنه ميّت ـ عن شيخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هل رأيتَه؟ قال: نعم، رأيتُه، وهو ذاك، يشير إلى ناحية سطح من سطوح المنزل.

ثم سألته عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فقال: رأيتُه، وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلوِّ ما يُشير.

آخر ما نقل الذهبي في «السير»
من «شمائل البخاري» لأبي جعفر الوراق

والحمد لله رب العالمين

روايات ورّاق البخاري الزائدة
التي لم يذكرها الذهبي في «سير أعلام النبلاء»

١ ـ قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٨/٢/ ط. السعادة ـ ١٣٤٩ هـ/١٩٣١م): أَخْبَرَنِي الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: سمعت محمد بن قتيبة، قريب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، يقول: كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيتُ عنده غلاماً، فقلت له: من أين أنت؟ قال: من بُخارى.

قلت : ابن من؟ فقال: ابن إسماعيل.

فقلت له: أنت قرابتي. فعانقته، فقال لي الرجل في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يناطح الكباش.

٢ ـ قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٤/٢/ ط. السعادة): أَخْبَرَني أبو الوليد الدَّرْبَنْديّ، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه، كي لا أرويه. ففعلت ذلك.

وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل [زهاء ألفين](٥٦): «رضي الفتى»، وفي الأحاديث الضعيفة: «لم يرض الفتى».

فقال له بعض أصحابه: مَن هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل.

٣ ـ قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦/٢): أَخْبَرَنِي الحسن بن محمد الأشقر، قال: أخبرنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا محمد بن سعيد التاجر، قال: حدثنا محمد بن

(٥٦) ما بين معقوفتين زيادة وردت في «تاريخ دمشق» (٧٧/٥٢).
فائدة: قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٥٠/٦/ ط. الغرب): فارقّ البُخَارِيُّ بُخارى وله خمس عشرة سنة، ولم يره محمد بْن سلَام بعد ذلك.

يوسف بن مطر، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت حاشد بن إسماعيل، يقول: كنتُ بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل، فلما قَدِمَ، قال محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء.

٤ ـ قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٥/٢): حَدَّثَنِي أبو النجيب الأرموي، قال: حَدَّثَنِي محمد بن إبراهيم الأصبهاني، قال: أَخْبَرَنِي محمد بن إدريس الوراق، قال: حدثنا محمد بن حام، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن أبي حاتم، قال: سُئِلَ محمد بن إسماعيل عن خبر حديث[٥٧]، فقال: يا أبا فلان أتراني أُدَلِّس؟ تركتُ أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر، وتركتُ مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر.

٥ ـ قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/٢): أنبأنا محمد بن أبي بكر الحافظ ببخارى (هو غنجار)، قال: نبأنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، قال: نبأنا أبو سعيد بكر بن منير، قال: كان حُمِلَ إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجّار إليه بالعشية

(٥٧) جاء في حاشية «هدى الساري» (٥٣٤/٢/ ط. الرسالة): «هاهنا في حاشية الأصل ما نصُّه: يعني: عن الإخبار بحديث، بمعنى أنه يرويه بصيغة غير محتملة للتدليس، كأخبرنا مثلاً.

فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: «انصرفوا الليلة». فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فرَدَّهم وقال: «إني نويتُ البارحة أن أدفع إلى الذين طلبوا أمس بما طلبوا أول مرة». فدفعها إليهم بما طلبوا، يعني الذين طلبوا أول مرة، ودفع إليهم بربح خمسة آلاف درهم، وقال: «لا أحب أن أنقض نيتي»[٥٨].

٦ ـ قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/٥٥): أخبرنا أبو الحسن الموحد أنبأنا هناد القاضي أنبأنا محمد بن أحمد الغنجار حدثنا أبو نصر محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد التاجر حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق قال:

قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألتُ أبا عبد الله محمد بن إسماعيل: متى وُلِدت؟ فأخرج لي خطَّ أبيه:

«وُلِد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة بعد الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة».

وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومئتين.

---

(٥٨) قال الذهبي في «السير» (١٢/٤٤٧): ذكر معناها محمد بن أبي حاتم، واللفظ لبكر. اهـ. ويبدو أنّ لفظَ بكر أتمّ.

٧ ـ قال وراق البُخَارِيّ: ثَنَا إِسْحَاق بن أَحْمد بن خلف البُخَارِيّ، سَمِعت مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ يَقُول:

سمع أبي من مَالك، وَرَأى حَمَّاد بن زيد قد صَافح ابن المُبَارك بكلتا يَدَيْهِ(٥٩).

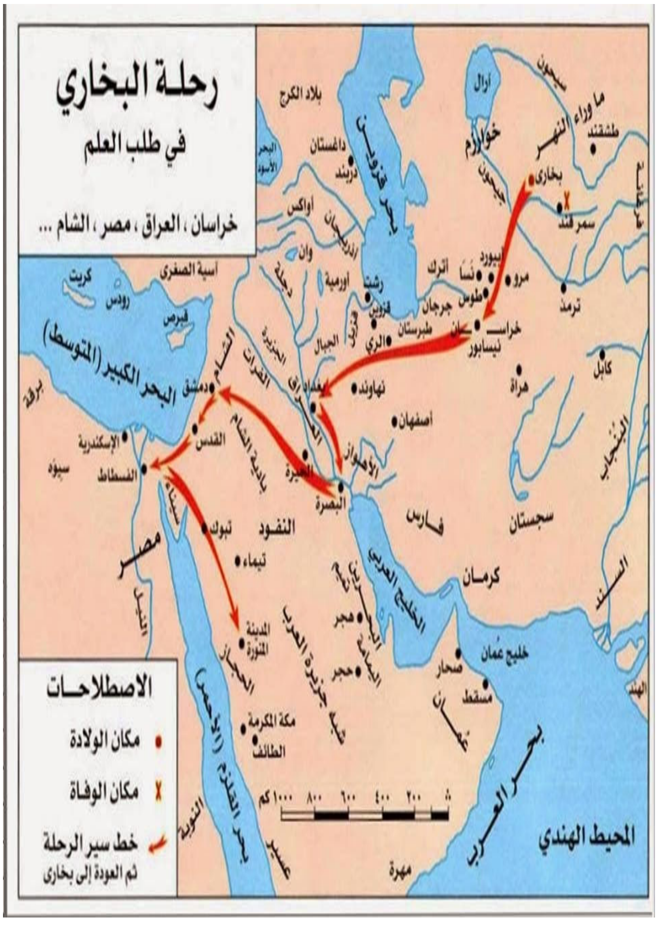
٨ ـ قال وراق البُخَارِيّ: سَمِعت الحسن بن الحُسَيْن البَزَّاز يَقُول:

رَأَيْتُ مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل شَيخاً نحيف الجِسْم، لَيْسَ بالطويل ولا بالقصير، وُلِد يَوْم الجُمُعَة بعد الصَّلَاة لثلاث عشرَة ليلة خَلَت من شَوَّال سنة أَربع وَتِسْعين وَمِئَة ببخارى(٦٠).

❁ ❁ ❁

(٥٩) نقله ابن حجر في «تغليق التعليق» (١٢٩/٥)، وقال: وذكر البُخَارِيّ في «تاريخه» في ترجمة أبيه إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغيرَة الْجعْفِيّ أنه رَأى حَمَّاد بن زيد صَافح ابن المُبَارك بكلتا يَدَيْهِ، وقال فِي ترجمة عبد الله بن سَلمَة المرَادِي: حَدثنِي أَصْحَابُنَا يحيى وغيره عن أبي إِسْمَاعِيل بن إِبرَاهِيم قال: رَأَيْتُ حَمَّاد بن زيد وَجَاء ابن المُبَارك بِمَكَّة، فصافحه بكلتا يَدَيْهِ. ويحيى عندِي هو يَحْيَى بن جَعْفَر البيكندي. اهـ.

(٦٠) نقله ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣٨٥/٥).



صورة رحلة البخاري